

محمد بن سلمان هو الذي أصدر أوامر القتل في جريمة القرن



بقلم: عبد الباري عطوان

”جَريمةُ القرن“ التي تَمَثَّلَت في اغتيالِ المَصِّحافيِّ السعوديِّ جمال خاشقجي في قُنصُلِيَّةِ بِلاده في إسطنبول لم تُلْحِقِ المَصَّحَرَّ فَقَطْ بِالأمير محمد بن سلمان، المُتَّهَمِ الرَّئِيسِيِّ بِالوُقُوفِ خَلْفَهَا، وإرسالِ ”فَرِيقِ المَوْتِ“ المُكَوَّنِ مِنْ 15 مَسْؤُولًا مِنْ المُقَرَّرِ بَيْنَ لَتَنَفِيزِهَا، إِنَّمَا أَيْضًا بِعَنَاصِرٍ رِئِيسِيَّةٍ فِي اسْتِراتِيجِيَّةِ الوِلَايَاتِ المِتَّحَدَةِ فِي الشَّرْقِ الأَوْسَطِ، أُبْرَزَهَا ”صفقة القرن“ المُتَعَلِّقَةُ بِتَصْفِيَّةِ القَضِيَّةِ الفِلِسْطِينِيَّةِ، وَكَذَلِكَ الحِمَارِ المَفْرُوضِ عَلَى إِيْرَانِ، وَأخِيرًا تَخْفِيزُ أَسْعَارِ الذَّهَبِ.

الخَطَأُ الرَّئِيسِيُّ الَّذِي ارْتَكَبَهُ الرَّئِيسُ دُونَالْدُ تْرَامْبِ وَصَهْرَهُ جَارِيدُ كُوشْنَرِ اللَّاَذَانِ وَضَعَا هَذِهِ الاسْتِراتِيجِيَّةَ، أَنْهُمَا جَعَلَا الأَمِيرَ بِنَ سَلْمَانَ مَحْوَرَهَا الرَّئِيسِيَّ، وَمَعَ اقْتِرَابِ حَبْلِ الإِدَانَةِ مِنْ رَقَبَةِ الأخيرِ، فَإِنَّ هَذِهِ الاسْتِراتِيجِيَّةَ تُوَاكِجُهُ الانْهِيَارَ الكَامِلُ، إِنْ لَمْ تَكُنْ قَدْ انْهَارَتْ فَرِعًى.

التقارير التي تأتي من واشنطن وتندشورها هذه الأيام عدّة صحف ووكالات أنباء عالمية موثوقة، مثل "رويترز" و"الواشنطن بوست" و"ول ستريت جورنال" التي أكدت أن وكالة الاستخبارات الأمريكية (سي آي إيه) توصّلت إلى نتيجة مفادها أن الأمير بن سلمان هو الذي أمّدر الأوامر باغتيال الخاشقجي، اعتماداً على تسجيلات صوتية حصلت عليها من الجانب التركي، تصّاع الرئيس ترامب وصهره، اللّذين يُريدان الحفاظ على الأمير بن سلمان في السلطة في موضوع حرج، ويائس، وتبدّني الرّواية السعودية الرسمية التي تندفي أيّ دورٍ لوليّ العهد السعودي فيها، وتُلقي باللّوم على رئيس فريق الموت الذي أعطى الأوامر بالاغتيال دون تسميته.

الأتراك الذين أبقوا هذه الجريمة حية، تحتل العناوين الرئيسية، ودوّلوها إلى قضية أمريكية دولية تدبّنها استراتيجيّة مدروسة بذكاء من خلال تسليمهم السيّدة جينا هاسبل، رئيسة وكالة الاستخبارات الأمريكية، نسخاً مؤثقة للتسجيلات حول كيفية حدوث عملية القتل التي نفّذت في مكتب القنصل السعودي محمد العتيبي، والأخير طالب، وحسب التسجيلات، الفريق المُنفّذ بالتخلّص من الجثّة على وجه السُّرعة، وتنظيف القنصلية من الأدلّة، وغادر إسطنبول بعد بضعة أيام من التّنفيد عائداً إلى الرياض خوفاً من الاعتراف، والخضوع للتّحقيق، ولكنّه لن ينجو من المُساءلة والعقاب.

من يعرف المملكة السعودية، ومُعظّم الدّول وال العربيّة الأخرى في المنطقة، يدرك جيّداً أن تنفيذ جريمة بالطريقة التي نفّذت بها، وإرسال "فريق موت" من 15 شخصاً، بينهم طبيب شرعي، وخبير بالسّموم على متن طائرتين خاصتين، ومُجهّز بحقن ومواد تخدير، وأسد حارق، ومُنشار كهربائي، لا يمكن أن يتم دون تخطيطٍ مُسبق، وبتعليمات واضحة من شخصيّة عالية المستوى في الدّولة في وزن محمد بن سلمان، وليّ العهد، الحاكم الفعليّ للبلاد.

إذا كانت عمليات الاغتيال حتّى في الدول التي تدّعي الديمقراطية مثل إسرائيل ودول أوروبية أخرى، لا يمكن أن تتم إلا بموافقة رئيس الوزراء، وتوقيعه رسمياً على أوامر تنفيذها، فلماذا لا يكون الحال كذلك في دول يحكمها رجل واحد يتحكّم بكلّ السلطات، يُريد الانتقام من كلّ مُعارضيه، سواء كانوا في الدّاخِل أو الخارج، أمراء أو

من العامة، ويعتقد أنه سيكون فوق القانون والمُحاسبة لأنه يملك المال ومئات المليارات منه؟

لا نعتقد أن محاولات الرئيس ترامب الحثيثة لتبذير ثروة الأمير بن سلمان من هذه الجريمة ستُحقّق أيّ نجاحٍ بعد أن انتقلت القضية برُمّتها إلى الكونغرس، وباتت وكالة المخابرات المركزية تتبذّر موقوفًا مُستقرًّا لا عن البيت الأبيض فيها، وأصبحت مسألة استدعاء رئيسة هذه المخابرات لتقديم شهادتها أمام مجلس النواب الذي يُسيطر عليه الدّيمقراطيّون حتميّةً، وشبكةً في الوقت نفسه.

وما يدفعنا إلى هذا الاعتقاد أن "أصدقاء" الأمير بن سلمان باتوا يندفعون من حوله، سواء بطرقٍ مُباشرةٍ، أو غير مُباشرةٍ، فقد لوحظ أن الشيخ محمد بن زايد، وليّ عهد أبو ظبي لم يلتقيه أثناء زيارته الأخيرة للرّياض قبل سبعة أيّام، ولم يحضر كعادته، أي الأمير بن سلمان، لبقاء الصّيف الإماراتي مع والده الملك سلمان بن عبد العزيز، وهذا أمرٌ لافتٌ، بالنّظر إلى العلاقة التّحالفية الخاصّة والمتينة بين الاثنين، أي بن سلمان وبين زايد.

وكان لافتًا أيضًا أن العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني أعفَى الدكتور باسم عوض الله من وظيفته كمبعوثه الخاص إلى السعودية، والدكتور عوض الله يُعتبر من أهمّ مُستشاري الأمير بن سلمان في المجالات الاقتصادية والسياسية، علاوةً على كونه من أبرز أصدقاء الشّخصين.

الدّيون الملكيّ الأردني لم يُعط أيّ أسبابٍ تُبرّر خُطوة عزّل الدكتور عوض الله، ولكنّ مصادر عديدة تُؤكّد أن هذا القرار ما كان سيصدّر لو أن العاهل الأردني يملك معلوماتٍ تُؤكّد أن وليّ العهد السعودي سينجو من "لَعنة" الخاشجي ويبقّى في منصبه، خاصّةً أنّه اتخذ هذا القرار بعد عودته من واشنطن مُباشرةً، وبعد التّقاء مع مسؤولين أمريكيين على أعلى المستويات وأبرزهم مايك بومبيو، وزير الخارجية.

اعترافُ السّلطات السعودية بتقطيع الجُثّة، وتسليمها إلى مُتعاونٍ محليّ، وتحميل مسؤوليّة القتل إلى أشخاصٍ مثل اللواء أحمد عسيري، نائب رئيس المخابرات السعودية، أو القنصل

السعوديَّ في إسطنبول، أو حتَّى قائد فريق المَوْت، يُؤكِّد أنَّ كُـلَّ التَّسَرِّبات التَّركيَّة كانت دَقيقةً، وأنَّ كُـلَّ الرِّوايات السَّعوديَّة الرِّسميَّة التي زادت عَن عَشْرِ، تَتَّسِمُ بالارتباك وانعدام الاحترافيَّة ومُحاوَلَة للتَّهَرُّب مِن المَسْؤوليَّة في الوَقْتِ نَفْسِهِ.

مِلَاف "جريمة القرن" سَيَظَلُّ مَفْتُوحًا رُبَّمَا لأَسابيعٍ أو لأَشهرٍ قادمَة، والخِناق بَدَأَ يَضِيقُ على الأمير محمد بن سلمان، ونَخِطَلَفُ كُـلَّ يَسَّامٍ مَعَ السَّيد عادل الجبير، وزير الخارجِية، الَّذي يُصرُّ على أنَّها جريمة جنائيَّة، ويُطالبُ بعدم تَسْييسِها، فإذا كانت هَذِهِ لَيسَت جَرِمةً سياسيَّةً فماذا تَكون؟ وهَلِ المَرْحوم خاشقجي كانَ بائِعَ خضروات، أو أسماكٍ في أسواقِ الرِّياض مَثَلًا، وقُتِلَ في عَمليَّةٍ سَطَوِ مُسَلَّحٍ، أو إثَّرَ خِلافٍ مَعَ جَرَّار الحَيِّ؟

العِلاقات السَّعوديَّة الأمريكيَّة لن تَتَأثَّرَ إذا خَرَجَ الأمير بن سلمان مِنَ السُّلْطَة، فلا يَوجَدُ أميرٌ واحِدٌ في العائِلَة السَّعوديَّة المَالِكة يُريدُ قَطْعَ العِلاقات مَعَ أميرِكا التي يَزِيدُ عُمُرُها عَن سَبْعين عامًّا، والبَحْثُ عَن بَدَائِلٍ أُخْرَى، لَيسَ لأنَّ هَذِهِ البَدَائِلَ غيرُ موجودة، وإنَّما لأنَّ ثَمَنَ هَذِهِ الخُطوَة في حالِ اتِّخاذِها سَيَكونُ باهِيظًا بالنِّسبةِ إلى العائِلَة الحاكمة.. وإِذْ أَعْلَمُ.